النتاج الجديد

العراق في العصر الاموي

للاستاذ ثابت الراوي

بقلم : يحيى الجبوري

لعل اكثر الدراسات التي قامت حول تاريخ العراق تناولته في عصوره العباسية ، حيث تركزت الحضارة في بغداد وانشئت المدن العامرة وتقاطر العلماء عليها من شتى الاقطار والامصار العربية والاسلامية ، وقد تظافرت الدراسات حول تاريخ بغداد والبصرة والكوفة في العصور المتأخرة، اما الدراسات حول تاريخ العراق ابان الفتح العربي وعصر الامويين فهي معدودة ومحصورة في جوانب خاصة • والتأليف في هذا العصر من ناحية تعريب العراق ومعرفة الاحوال السياسية والمالية والادارية والادبية امر على كثير من الاهمية ، لان العراق من الاقطار التي حفلت بأحداث هامة ففيه ظهرت الفرق والمبادىء ومنه اندلعت الثورات وعلى تربته سفكت الدماء غزيرة ومنه شعت انوار المعارف والآداب •

ودراسة مثل التي نريد تتطلب الجهد الجهيد والصبر الطويل • وقد انصرف للجانب التاريخي الاخ الاستاذ ثابت الراوي فاتحفنا منذ قريب بكتابه الطريف (العراق في العصر الاموي) وهو دراسة جامعية اعدها لنيل درجة الماجستير من جامعة الاسكندرية • والكتاب بجملته ينم عن جهود مخلصة في سبيل البحث العلمي ، واني وان كنت آخذ عليه جملة ملاحظات، لا اريد بها التقليل من قيمة هذا الجهد بقدر ما اريد له الكمال في تحقيق الغرض الذي بني لاجله هذا البحث ، وقبل ان ادون ملاحظاتي اجول جولة خلال الكتاب للتعرف على أهم معالمه •

قام البحث على ستة فصول واربعة ملاحق ، درس في الفصل الاول (الفتح العربي للعراق) حالة السكان في العهد الفارسي الاخير وما كانوا عليه من انحطاط وفوضى وقسوة الحاكمين ، وكان سواد سكان العراق يتكونون من بعض القبائل العربية النصرانية مثل بني بكر بن وائل التي وقفت بجانب الفرس ضد العرب المسلمين ، وفئة اخرى من القبائل العربية

التي رحبت بالفتح تخلصا من الحكم الفارسي وكان في جوارهم بعض النبط ، اما عرب الحيرة فوقفوا بين العرب والفرس موقف المحايد المنتظر لنتائج الحرب ، وقد عرفنا في الفتح مسير الجيوش العربية في العراق والمعارك التي خاضوها في القادسية والجسر ونهاوند وجلولاء .

ويتكلم عن جغرافية العراق فيقف عند اسم (عراق) في اصلها الفارسي وفي اصلها العربي ، فالعراق هو الساحل والعراق هو استواء الارض ، والكلمة عند من يخرجها تخريجا فارسيا منقولة من كلمة (ايراه) اي الساحل فهي (ايراهستان) فقلبت الهاء قافا فصارت ايراق ، وهي عند المؤلف من اعرق القوم اذا بحثوا عن غذائهم والعراق ارض الماء والخصب والخضرة .

ويحدد العراق القديم جغرافيا ويبين طبيعة سطحه وارض العراق كما كانت تحدد بالاقليم الممتد من تكريت شمالا الى عبادان جنوبا ومن حلوان شرقا الى العذيب غربا . ويختم هذا الفصل بان يعين التحديد الاداري والسياسي للعراق وما كان عليه من تعاقب الولاة على الكوفة والبصرة والظروف التي احاطت بذلك .

وحين تناول النزاع بين علي ومعاوية وقيام الدولة الاموية استعرض قصة الفتنة منذ قامت ضد عثمان وادت الى مصرعه ثم انتقلت الى عهد علي بن ابي طالب حيث انقسم المسلمون واقتتلوا في الجمل وصفين ثم نهاية الحكم الراشدي بمقتل الامام وتولية الحسن ثم تنازله لمعاوية حيث ثبت الامر للامويين وصار حكم الوراثة مكان نظام الشورى .

ثم تناول نظام الحكم وبحث جوانب كثيرة فيه منها النظام الاداري وقد تتبعه منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى استقر عند الامويين وبين مركز الولاة والقضاة وعمال الخراج وكيفية اختيارهم ونفوذهم واشار للكتاب وصاحب الشرطة والجيش والنظام الحربي المتبع انذاك .

وفي الفصل الخامس تكلم عن تعريب العراق فوصف حال السكان منذ عصر مبكر حتى صاروا الى الفتح الاسلامي وبين موقفهم من الفتح واثره فيهم وحالهم في ظل الاسلام واوضح عملية المزج التي حصلت بين العرب والفرس والنبط وغيرهم من الامم ، وانتقل بعد ذلك للحديث عن الكوفة والبصرة وواسط ومنازل القبائل في كل من هذه المدن وانتشار اللغة العربية فيها .

وكان الفصل السادس (علاقة العراق بالدولة الاموية) سرد للاحداث الهامة والثورات التي قامت في العراق ضد الدولة وولاتها ونتائج هذه الثورات واسباب فشلها ، وقد قسمها الى اربعة اصناف : ثورات علوية قام بها حجر بن عدي الكندي والحسين بن علي وزيد بن علي بن الحسين . وثورات اقليمية مثلها عبدالرحمن بن الاشعث ويزيد بن المهلب وعبدالله بن الحر الذي كان يقوم بغارات متوالية . وثورات الخوارج تمثلت في

حوثرة الاسدى وفروة بن نوفل الاشجعي والمستورد الخارجي والازارقة وغيرهم • وثورات شخصية كثورة المختار الثقفى ومطرف بن المغيرة بن شعبة وعبدالله بن معاوية • وقد اضاف المؤلف للكتاب ملاحق هي : الخطب للخلفاء والامراء ، والكتب والرسائل والتوقيعات والوصايا كما الحق جدولا يبين من تعاقب على الكوفة والبصرة من الولاة والامراء والقضاة واصحاب الشرطة والخراج •

وكنت اود حين اقدم المؤلف الفاضل على دراسة هذا القطر الاسلامى ان يعطى صورة للعالم الاسلامى من ناحيته السياسية على الاقل حتى نرى اصداء تلك السياسة في العراق الذى هو جزء من هذا العالم متأثر باحداثه منفعل بمشاكله ، لعل ذلك قد ورد خلال الفصول وبصورة عرضية وكنت اريد ان يكون الامر منظما ومبينا • والناظر في خطة البحث يجد فيها جملة مآخذ فالفصول غير مترابطة فكأن كل فصل كتب على انفراد دون ان تكون له صلة بما قبله وما بعده ومن الممكن حذف اى فصل من الفصول دون ان يتأثر الكتاب بذلك ، ان الدراسة العلمية تقوم اجزاؤها على التلازم والترابط والموضوع يكون وحدة متكاملة متتامة •

لقد بنى الكتاب على دراسة العراق من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، واذا جئنا نتعرف على كل ناحية من هذه النواحي لن نجدها الا بعد ان نقرأ الكتاب جملة ، وكان الواجب ان تقوم الدراسة على تنظيم وتخطيط سابق يكون الباب الاول فيه الناحية السياسية وتخرج منه فصول يندرج فيها كل ما يخص السياسة ثم يفرد باب الى الناحية الادارية وكذلك الناحية الاجتماعية هذه الناحية التى لم اجد لها اثرا واضحا فى الكتاب وكأنها اهملت او نسيت • ان تقسيم البحث الى موضوعات رئيسية امر تتطلبه طبيعة الدراسة اما ان تختلط كل الجوانب وتهدر موضوعات على حساب اخرى فامر لا يسيغه الاسلوب العلمى الصحيح والتاريخ لم يعد قصة تقص او حكاية تسرد بل هو علم من العلوم له اسبابه واصوله • وفى مثل هذه الابحاث تكتب مقدمة يوضح فيها كاتبها مكانة الموضوع وطبيعته واهم مصادره ونهج المؤلف فيه وغير ذلك ، اما ان يكتفى الكاتب بصفحة يشغلها الثناء على اساتذته فامر لا اقره •

لقد عمل المؤلف ملاحق للكتاب شغلت ستين صفحة للخطب والرسائل والتوقيعات والوصايا ، ولا ادرى مدى الحاجة اليها فى دراسة تاريخية ، وهى ميسور امرها ومتوفرة فى كتب التاريخ والادب بل هى اقرب الى النصوص الادبية منها الى التاريخ ، وان جمعها هنا لايعود بكبير فائدة وخاصة ان المؤلف لم يحاول ان يستفيد من الخطب عند حديثه عن الولاة مثلا ، وقد اعوزته الامانة في النصوص المدرجة في هذه الملاحق ، فهناك خلاف فى نصوص الخطب بصورة خاصة كان عليه ان يشير الى ذلك

ويثبت الوجه الصحيح ويذكر المصادر الاخرى التى ذكرتها حتى يستكمل اسباب بحثه ٠

والسؤال الذى يجدر ان يطرق هنا بالنسبة للتوقيعات ، هل هـذه كل التوقيعات التي وجدها عند خلفاء وولاة الامويين ام انه اختار مجموعة فضلها على غيرها ، وهل كان الاختيار قائما على أسس معينة ثم ان التوقيعات كالامثال لكل منها قصة ومناسبة واثر ، افلم يكن الاجدر به ان يذكر ذلك ويخرج بفائدة يتوخاها ؟ واذا كان لابد من ذكر هذه التوقيعات كان من الاوفق ان ترد فى مكانها المناسب من الحادثة حتى تكون دعما للحادثة وشاهدا عليها ٠

ثم ماذا نقول فى الوصايا التي لم يختر منها الا اثنتين وكلتاهما لمعاوية ، الاولى يوصى بها المغيرة بن شعبة بعد توليه على الكوفة سنة احدى واربعين ، والثانية يوصى بها ابنه يزيد عند وفاته ٠ وكان من المناسب ان يذكرها - اذا كان لابد من ذكرها - في مناسبتها ضمن البحث ٠

وبعد فهذه ملاحظات سريعة اثيرت عند مطالعتى لهذا الكتاب الطريف، واظن ان هذه الملاحظات السريعة لا تحول بينى وبين اعجابى باخلاص الكاتب وجهده المحمود فى هذا السبيل فاشكر للاستاذ المؤلف هديته القيمة وارجو له التوفيق فى خدمة تاريخنا العربي الاسلامي ٠

كتب في الادب الشعبي

عباس العزاوى

١ - الادب الشعبي في جزيرة العرب

العشائر لا تزال كنوزها اللغوية والادبية مخفية ، مستعصية على متطلبها ، صعبة المنال لغير العارف بها ، وبحوثها بكرا ٠ لا يكشف عنها الا من كان خبيرا بها ، مزاولا لمطالبها ، ملتفتا لما فيها من دقائق ، وله رغبة أكيدة ، ويحمل فكرة تذوق قويمة ٠ لاثارة ما فيها من درر وغرر ٠ ولا يكفى هذا حتى يعرف المرء أحوال مجتمعاتها ، ويجوس خلال ديارها أو يقف على آدابها للتمكن منها ، ويكون بصيرا بمنطوياتها في حالاتها المنوعة في حلها ، وترحالها ، وسلمها وحربها ، وأفراحها ، ومجالس أدبها وألعابها ، وسائر أحوالها ٠ ذلك مع الاتصال بالادب العربي الفصيح ولغته ٠

وكل هذا لا يكفي حتى يشمل ذلك ما في كل مكان منه بسعة والامكانيات اليوم متيسرة تقريبا ٠ والصعوبة ممكن تسهيلها ، أو الاخذ بناصرها